

الشخصية الرمزية في الحكاية الشعبية الجزائرية بين الواقع والتمثيل

The symbolic character in the Algerian folk tale between reality and imagination.

د.فاتح عياد*

Ayad fatih

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة (الجزائر)

University of 20 August 1955-Skikda, (Algeria)

Fateh.turk@hotmail.fr

تاريخ النشر: 2023/12/15	تاريخ القبول: 2023/10/26	تاريخ الإرسال: 2023/08/07
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

تتنوع شخصيات الحكاية الشعبية وتتصارع، فتلامس الواقع أحياناً، وتتجاوز حدود المنطق أحياناً أخرى، متخذة في ذلك جملة من الطباع والصفات، وهي تحمل وظائف دلالية رمزية كثيرة، وفقاً لثقافة الشعب المحتضن لها، ولاحتياجاته الفنية، والسياسية، والاجتماعية.

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن ما ترمز إليه الشخصيات المحورية في الحكاية الشعبية الجزائرية، معتمدين في ذلك على أشهر الشخصيات.

أما عن المنهجية المعتمدة، فقد بدأنا بمقدمة تمهدنا فيها للموضوع، ثم قدمنا بعض المفاهيم حول الحكاية الشعبية، ثم عرضنا لب الموضوع، والذي تضمن مجموعة من العناصر الجزئية، وختمنا في الأخير بخاتمة ضممتها نتائج البحث.

ومن النتائج المتوصل إليها نذكر:

تتنوع الشخصيات الرمزية في الحكاية الشعبية الجزائرية بحسب الوظيفة التي تؤديها داخل النص الحكائي، وهي ذات ملامح يمتزج فيها الواقع بالخيال.

الكلمات المفتاحية: شخصيات؛ رمزية؛ حكاية شعبية؛ جزائر؛ واقع؛ تمثيل.

Abstract :

The characters in folktales vary and conflict, sometimes touching reality and other times surpassing the boundaries of logic, embodying a variety of traits and

* فاتح عياد . Fateh.turk@hotmail.fr

qualities. They carry numerous symbolic connotations according to the culture that embraces them and their artistic, political, and social needs.

Through this study, we aim to uncover the significance of the central characters in Algerian folktales, relying on the most renowned figures.

As for the adopted methodology, we began with an introduction, setting the stage for the subject, then presented some concepts about folktales. Subsequently, we discussed the core of the subject, which included various elements, and concluded with a summary that encompassed the research findings.

Among the results obtained, we note that the symbolic characters in Algerian folktales vary according to the role they play within the narrative and possess features that blend reality with imagination.

Key words: Characters; symbolic; Folk Tale; Algeria; Reality; Imaginary.



المقدمة:

تتميز الحكاية الشعبية الجزائرية بكونها موروثا ثقافيا متوارثا عبر الأجيال، عن طريق التواتر، وهي لا تنقل في أهميتها عن باقي الأجناس الأدبية الشعبية الأخرى، كالأسطورة، والأمثال، والأحاديث..، فهي تعبر عن واقع المجتمع، وما له من آمال، هذه الأخيرة التي قد تتجسد عبر عالم امتزج فيه الواقع بالخيال، وتعد الشخصية من أهم عناصر العمل الحكائي، فهي المرتكز الذي تتمحور حوله باقي عناصر السرد، من زمان، ومكان، وأحداث..، وهي تتنوع في الحكاية الشعبية الجزائرية بحسب موقعها والدور الذي تؤديه. إن المنتبغ لشخصيات الحكاية الشعبية الجزائرية فسيلا حظ، ولاشك، أن الحكائي قد لجأ إلى عملية تركيبية في صناعة شخصياته، بارتكازه على توظيف جملة من الرموز، والتي يستطيع من خلالها تشكيل بؤرة تميز الحكاية، لذلك فهي دائمة الحضور والتكرار، فشمسية اللونجا، والغول، والستوت.. لها سطوة الحضور في العمل الحكائي كغ و نوعا، فتنبرز بلامح ممتزجة بين الواقع والخيال، وقد تحوّلت إلى رموز، أي أنّها تؤدي دلالات رمزية.

وبناءً عليه، جاءت إشكالية البحث على النحو الآتي:

- ما المقصود بالشخصيات الرمزية في الحكاية الشعبية الجزائرية، وما هي أنواعها؟ وفيم تكمن الدلالات الرمزية التي تؤديها؟

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم الشخصية الرمزية، ومحاولة رصد الشخصيات الواقعية والمنتخبة- المتكررة في الحكايات الشعبية الجزائرية، وتبيان ما لها من دلالات رمزية.

ولتحديد الشخصيات وتحليلها فقد اعتمدت على المادة الخام للدراسة، وتكمن في مجموعة من الحكايات الشعبية الجزائرية، والتي نقلتها شفاهة عن لسان الراوي، ثم قمتُ بجمعها ونشرها في كتاب بعنوان "حكيت لي أمي: حكايات من التراث الشعبي الجزائري"، والذي يحوي جلّ الحكايات المشهورة والزائجة في الجزائر، كحكاية "لونجا والسلطان"، و"قرن فضة وقرن ذهب"، و"مقيدش بوالهموم"... إلخ، هذا بالإضافة إلى اعتماد جملة من المراجع المتنوعة التي لها صلة وثيقة بموضوع البحث.

أولاً- مفهوم الشخصية الرمزية:

الشخصية "مجموعة الصفات الاجتماعية، والخلقية، والمزاجية، والعقلية، والجسمية، التي يتميز بها الشخص، والتي تبدو بصورة واضحة، متميزة في علاقته مع الناس"¹، ولعل فاعليتها عبر الأحداث، تعكس طبيعة تفاعل الإنسان مع البيئة، فالشخصية "كما نفهمها اليوم هي مزيج من الفعاليات البيولوجية والذاتية أو الفكرية والحوادث الاجتماعية"²

ولابدّ لأي بناء حكاوي من توظيف للشخصيات، بوصف الشخصية "أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة"³، فلا يوجد سرد من دون شخصية متفاعلة مع عناصر السرد الأخرى لتشكل نصًا حكاويًا يستمدّ جماله ورويقه، وفاعليته من شخصياته، وكل ما تملكه من أبعاد فكرية وفسية واجتماعية، فضلا عن ما تتسم به من عواطف، وكل ما تعكسه من تصورات وتجارب وقيم، لتغدو بذلك شخصيات رمزية؛ أي أنّها تُوظّف في العمل الحكائي لتقديم للمجتمع قيمة معيّنة، سواء اجتماعية أو أخلاقية.

وتعدّ الشخصية الرمزية عنصراً أساسياً في بناء الحكاية الشعبية الجزائرية، ولها دور مهم من حيث توقعها في معترك الأحداث، فمنها يستقي المتلقي دلالات رمزية كثيرة، تتنوع بتنوع تلك الشخصيات.

ثانياً- مفهوم الحكاية الشعبية:

1- الحكاية:

أ- اللغة:

جاء في لسان العرب "حكى: الحكاية: كقولك حكيت فلانا وحكيتته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجوزه وحكيت عنه الحديث حكاية.

ابن سيده: حكيت إنسانا و أن لي كذا وكذا أي فعلت مثل فعله، والمحاكاة المشابهة تقول: فلان يحكي الشمس حسنا ويحاكيها بمعنى وحكيت عنه الكلام حكاية وحكوت لغة (حكاها أبو عبيدة) وحكيت العقدة أي شدتها"⁴

كما جاء أيضا في المنجد الأبيدي: "حكى: حكاية الخبر: وصفه وعنه الكلام نقله وفلانا الحكى التكلم الكلام (عامية)"⁵

نستنتج مما سبق أن الحكاية في اللغة كلام أو حكي، وهي من المصدر حكى.

ب-اصطلاحاً:

عرّفها محمد فهمي عبد اللطيف بقوله أنّها: "صورة اجتماعية أكمل وأشمل من الحدوثة... وإنّ موضوعها أوسع نطاقاً وأرحب مجالاً، فهي أسلوب اجتماعي هدفه الإصلاح والتقويم والتوجيه والمدافعة في مجال الحياة العامة، وعلى هذا نجد فيها النقد اللاذع، والسخرية المرة، والفكاهة الضاحكة اللاذعة، كما نجد فيها إثارة العبرة الرادعة"⁶

يعرّفها محمد سعيدي بقوله: "الحكاية وعاء للكثير من أحداث التاريخ، وتصوير دقيق لوقائع هذا التاريخ يدل على صدق الإحساس الشعبي العميق بهذه الوقائع"⁷

ويعرّفها عبد الحميد بورايو بقوله أنّها "شكل قصصي يتخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الشعب"⁸

ويمكن القول إنّ الحكاية هي "محاولة لاستدراك الأحداث وذلك عن طريق العجائبية والخيال الواسع الذي يؤثر نفسياً واجتماعياً..."⁹

نستخلص مما سبق أنّ الحكاية الشعبية هي جنس أدبي متوارث عبر الأجيال، وهي تصوير للواقع أحياناً وأحياناً أخرى تكون مفعمة بالخيال، تتوقر على عنصر التشويق والعجائبية، وتحتوي في مضمونها حكماً وعبراً.

2- الشعبية:

أ- اللغة:

لا تختلف كلمة الشعبية من حيث الدلالة اللغوية في معظم القواميس، فالمعنى هو نفسه ففي المنجد مثلاً "الشعبية: نفوذ يتمتع به شخص هو في الوقت معاً معروف ومحبوب من الشعب"¹⁰ وأيضاً «شعبي: متعلق بعامة الشعب، مبسط مفهوم من : adj. populaire : populer قبل العامة شائع عبارة شعبية عاطفي (غناء)، رائج جداً، ناجح، أسعار شعبية: ملائمة للجميع"¹¹

ونلاحظ من خلال هذه التعاريف أن الشعبية مشتقة من كلمة الشعب وتعني "الشعب: ج شعوب مص الشعب الجماعة الكبيرة من الناس التي تؤلف أمة، تخضع لنظام اجتماعي واحد، وتتكلم لساناً واحداً، القبيلة العظيمة الصدع، البعد، البعيد"¹²

نستنتج أن مصطلح الشعبية جاء من كلمة الشعب أو الشعوب وهي مجموعة من الناس يتكلمون لغة واحدة ويحكمهم نظام معين.

ب-اصطلاحاً:

تتميز كلمة الشعبية بالتناسك والتلاحم، وهي تخص الجماعة لا الفرد، و"الشعبي غير الشعبي وغير الشعبي، فالشعبي هو ما اتصل اتصالاً وثيقاً بالشعب إمّا في شكله أو مضمونه، أي ممارسة اتصفت بالشعبية تعني أنّها من إنتاج الشعب وأنّها ملك للشعب"¹³

كثير من الدارسين عرفوا مصطلح الشعبية "فالشعبية صفة مشتقة من مصطلح الشعب الذي أهمها المادة والزوج من حيث الطرح اللغوي والشكلي والدلالي والرمزي، فالشعبية صفة لكل ما يصدر عن الشعب قولاً، وفعلاً ممارسة سلوكاً، وتصور للحياة وللأشياء.

ويندرج ضمن هذه الدائرة المفهوماتية لمفهوم الشعبية أيضاً كل ما هو موجه للاستهلاك الشعبي سواء كان مادياً أو معنوياً"¹⁴

والشعبية في الاصطلاح تخص الشعب وجاءت من الشعب وللشعب، وهي كل عمل يصدر من الشعب سواء كان مادياً أو معنوياً .

وبناء عليه، عرفت الحكاية الشعبية منذ القديم، فهي لا تحتاج إلى التعريف بمفهومها، هكذا يقول عاطف عطية: "لم تكن الحكاية الشعبية بحاجة إلى تأصيل مفهومها، ووضعه في إطار البحث والاستقصاء فهي طبيعتها، مخالفة لكل القواعد والأطر التنظيمية التي عملت وتعمل على وضعها ضمن مناهج وقوانين الدراسة العلمية. وهي مع ذلك حديثة العهد في العالم العربي من حيث تناولها بالاستقصاء والبحث. وفي دراسة الحكاية الشعبية من الصعوبة الشيء الكثير. فهي لا تخضع لزمان بعينه ولا لبيئة محددة، ولا لأحداث دقيقة في تسلسلها إلا في السياق العام. لذلك انصب اهتمام الباحثين على تمييز الحكاية الشعبية عن غيرها من صنوف الأدب الشعبي بما لها من خصائص"¹⁵

ويعرف الدكتور زياد محبك الحكاية الشعبية فيقول: "هي أحداث يسردها رواية في جماعة من المتلقين، وهو يحفظها مشافهة عن رواية أخرى، ولكن يؤديها بلغته، غير متقيد بألفاظ الحكاية، وإن كان يتقيد بشخصياتها وحوادثها ومجمل بنائها العام. غالباً ما تزويها العجائز لأحفادهم في ليالي الشتاء الطويلة، قبل الذهاب للنوم، وقد يرويها غير العجائز، في مواقف تقتضيها، للعتة والاعتبار وضرب المثل، ولكن الحكاية لا تسرد على الأغلب إلا ليلاً في جو يتم التهيؤ له. فالجدة تقعد على خشبة، ويقعد الأولاد أمامها في استعداد للتلقي"¹⁶

للحكاية الشعبية لغة تتميز بها عن باقي الأجناس الأدبية "وتلقى الحكاية بلغة خاصة متميزة ليست لغة الحديث العادي، مما يمنحها قدرة على الإيحاء والتأثير، وغالباً ما يكون الإلقاء مصحوباً بتلويح صوتي، يناسب المواقف والشخصيات، وإشارات من اليدين والعينين والرأس، فيها قدر من التمثيل والتقليد. ويتم التلقي بإصغاء حاد، قد يتخلله الضحك أو الفزع، كما يقتضي الموقف، ولكن في تقدير واحترام، وتصديق واندهاش، من غير مقاطعة"¹⁷

تعتبر الحكاية الشعبية جنساً مختلفاً عن غيره من الأجناس الأدبية، تقول نبيلة إبراهيم: "إن المعاجم الألمانية تعرفها بأنها الخبر الذي يتصل بحديث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر. أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخصيات ومواقف تاريخية"¹⁸

أما بالنسبة للمعاجم الإنجليزية فهي تقول "أنها حكاية يصدقها الشعب بوصف حقيقة، وهي تتطور مع العصور وتتداول شفها، كما أنها قد تختص بالحوادث التاريخية الصرفة أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ،

وعلى هذا فإن التعريفين يشتركان في أن الحكاية الشعبية قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم. وأن هذه القصة يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها إلى درجة أنه يستقبلها جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية¹⁹

وتتميز الحكاية الشعبية عن بقية أجناس الأدب الشعبي الأخرى بجملة من الخصائص، سواء من ناحية الشكل أو المضمون، "إنها تتميز بالبساطة في التعبير، والإيجاز في المعنى، إذا ما قارناها بالقصص المدرسي الذي أبدعه أفراد يمتازون بعمق التفكير والقدرة على تطوير الحديث بطريقة تقنية مترابطة تتلاحق فيها الأحداث، ويتعقد فيها الصراع حتى النهاية"²⁰

نستخلص أن الحكاية الشعبية هي موروث شعبي جاء من ذاكرة الشعب، يتناقلها الأجيال بالتواتر جيلا عن جيل، وهي من خيال الشعب أو الواقع والأحداث التي عاشها الشعب في ذلك الوقت، والحكاية يتناقلها الشعب عن طريق المشافهة، وقد تكون الحكاية حقيقية من صنع الأبطال أو خيالية من صنع الخيال وللحكاية الشعبية أثر نفسي وبعد اجتماعي.

ثالثا- أنواع الشخصيات في الحكاية الشعبية:

تحدد شخصيات الحكاية الشعبية بحسب طبائعها وأخلاقها، وهذا ما أشار إليه عبد الحميد بورايو في قوله أن هناك "فرق بين الشكل العضوي الذي يحدد القصة في جوهرها وملاحظها العارضة التي تتمثل في الأخلاق والطباع والأفكار، وغيرها من العناصر التي تختلف باختلاف ظروف البيئة التي تحتضن القصة"²¹ للشخصيات أنواع كثيرة بحسب كل تصنيف، فمنها الشخصيات المرجعية، والواصلة، والمتكررة، ومنها الشخصيات الرئيسية والثانوية... وقد ارتأينا تصنيفها إلى واقعية وتخيلية تماشياً مع طبيعة الدراسة.

1- الشخصيات الواقعية:

ونقصد بالشخصيات الواقعية في الحكاية الشعبية تلك الشخصيات التي تحتكم في حياتها ونمط عيشها إلى الواقع الاجتماعي والإنساني، وما ينتج عن ذلك من علاقات؛ كالتعاون، والترابط الأسري، والقرابة أو الصداقة. فالزواج باعتباره ظاهرة اجتماعية متواجدة بكثرة، كزواج السلطان بلونجا... فالارتباط له قيمة كبيرة في الحياة الإنسانية، وكذلك ما للقرابة من دور في التماسك الأسري، كما في حكاية "بقرة اليتامى" حيث تصور لنا محبة الأخوين، وتمسكها ببعض في ظروف قاسية.

كما تتصف شخصيات الحكاية الشعبية بصفات البشر، سواء الخيرة منها أو الشريرة، كغيرة زوجة الأب من ربائها، أو الأخ من أخيه... وما يترتب عن ذلك من جرائم بشعة.

وعليه، فالشخصيات تعيش وفق نظام اجتماعي أو اقتصادي... وحياتها مرتبطة بالأرض والطبيعة، فهي تعتمد على الزرع، وزراعة الأرض، وبيع المحاصيل... لنا فهي تُعتمد كرموز للتعبير عن مقتضيات الحياة، وما يكتنزه المجتمع من قيم أخلاقية واجتماعية.

2- الشخصيات المتخيلة:

ينتقل الحكائي بالمتلقي "من عالم يحكمه منطق الحياة العملية والجديّة للالتحاق بمنطق مغاير لا يخضع لنفس القواعد، يميّز بالغرابة والفعل الخارق، ويرمي إلى الإدهاش ومعايشة مختلف المواقف المتناقضة والقوى المتصارعة"²²

يعتمد الحكائي إلى توظيف شخصيات عجائبية، مميّزة من حيث تركيبها، وقواها غير العادية، فيحاول من خلالها تجاوز الواقع، وخلق واقع آخر مغاير، ليكون بديلا، فيسمح له بالتعبير عما يريد، وبذلك فإن هذه الشخصيات خارجة عن المألوف وتناقض الشخصيات التقليدية المتسمة بصيغة الواقعية. ففي الحكاية الشعبية تخترق الشخصية الرمزية المختيلة الواقع والمألوف، فتنهك بذلك مفهوم الشخصية الواقعية. تميّز الشخصيات المختيلة بكسرها لسلاسل السببية، ويتجلى هذا في قدراتها الخارقة، فتتجاوز حدود المنطق، ومن الأمور التخيلية في الحكاية الشعبية الجزائرية قدرة تلك الشخصيات على التشكل والتلون، واختراق حدود المكان والزمان، فيمكنها الانتقال عبر مسافات طويلة في ظرف برهة من الزمن. غير أنّ شخصيات الحكاية وإن بلغت ذروتها في عالم التخيل إلا أنها ستظلّ ملامسة لواقع في سلوكياتها، وفي تعاملها مع معترك الأحداث. وتعتبر الشخصيات المختيلة أكثر تناسبا مع ذهن الأطفال لتناسبها مع خيالهم التام، كما تُعتبر أكثر إمتاعا لأنّها تنقلنا إلى عوالم أخرى مليئة بالعجائبية والحوارق.

رابعاً- الشخصيات الرمزية بين الواقعي والغرائبي في الحكاية الشعبية الجزائرية:

سنركز في دراستنا هذه على ذكر أهم الشخصيات الرمزية، والمتكررة في كثير من الحكايات، مصنفين إياها إلى شخصيات آدمية، وشخصيات خرافية.

1- الشخصيات الآدمية:

وهي شخصيات إنسانية رامزة عمد القاص إلى توظيفها لتؤدّي دلالات معيّنة، وقد جسدها النموذج الإنساني "الذي ينزع للكمال، تتمتع بصفات تدعو للإعجاب والتقدير، تتعلّق به نفوس المتلقين، إذ أنّها تجد فيه المثل الأعلى، وتجد فيه وفي أعماله البطولية إشباعا للحاجة"²³ وإن اختلفت هذه الشخصيات من حيث الطبائع والسلوكيات، إلا أنّ الهدف والغاية المنشودة من توظيفها إعطاء أبعاداً رمزيّة، من شأنها نشر الوعي الفكري لدى الكبار، وغرس الحس الأخلاقي لدى الصغار من خلال اللاوعي.

ألونجا:

تعتبر لونجا في الحكاية الشعبية الجزائرية رمزا للسلطة والأنوثة، وهذا ما عبّرت عنه حكاية "لونجا بنت السلطان"، كما كانت رمزا للطيبة والتقاء، ففيها تجمع كل الصفات الحمودة؛ من عطف وحنان وكرم وعفة...، كما تتميز بمظهرها الجذاب، فهي ذات حسن وجمال، تقول الحكاية: "كانت لونجا فتاة في غاية الرقة والجمال، فكانت تُبهر بجمالها كلّ من رآها"²⁴، وعليه فقد اجتمع جمال الجانب الخُلقي والحُلقي فيها، لتغدو أيقونة رقة ونعومة في عالم الحكايات الشعبية، ولنقل أنّها تتقارب في ذلك مع بطلات الحكايات العالمية؛ كبيضاء الثلج،

وساندريللا، وبائعة الكبريت.. وغيرهن من الحسانوات اللواتي عشن حياة قهر وعذاب، ودفعن ضريبة جمالهنّ غالياً، بسبب الغيرة والحسد من أقرب الناس إليهن، وهو ما حدث تماماً مع لونجا، فقد عانت الولايات من طرف زوجة أبيها الشريرة، وأختها غير الشقيقة.

ماتت والدة لونجا فكانت هي الأم الثانية لشقيقها الصغير، تمنحه الحب والحنان، وتمنحه الطّاقة الإيجابية ليصبر على أذى زوجة أبيها القاسية، تقول الحكاية: "لطالما أحسّت لونجا بظلم زوجة أبيها، إلا أنّها كانت صابرة، وعزاءها بعد وفاة أمّها هو عمر أخوها الصغير، فقد كانت تعامله كأمر رؤوم، فتحنو عليه، وتخفّف عنه آلامه وأحزانه."²⁵

كانت شخصيّة لونجا جدّ مسالمة، لذا فقد اختارت "أن تكون الغابة موطنها الجديد هي وشقيقها الصغير عمر، حتّى تتجنّب أذى الناس وتضمن السلامة والطّمانينة، إلا أنّ الغابة أيضاً مخاطرها، لذا كانت شديدة الحرص على مرافقة أخيها في كلّ مكان وفي كلّ اتجاه."²⁶، قرّرت البعد عن الناس لما لحقها من أذى زوجة والدها، وفضّلت أن تحيا برفقة شقيقها بين أحضان الطّبيعة.

وعند زواجها بالسلطان وانقلب حالها من فقر مدقع إلى ثراء فاحش، لم تتغيّر، بل ظلّت كما هي، إنسانة طيبة وتحب الخير للآخرين، أحبّها السلطان "وعاش معها حياة سعيدة، فقد كانت نعم الزوجة، أما هو فقد أحسن معاملتها، وعوّضها عن ما افتقدته من عطف وحنان، كما منح أخاها الغزال رعاية خاصّة في حديقة القصر."²⁷ وهكذا، ستظل شخصيّة لونجا في الحكاية الشعبيّة الجزائرية رمزاً للخير، ومثالاً للمحبّة الصادقة وصفاء السريرة، وستظلّ راسخة في مخيلة الشعب الجزائري، ومضرب المثل في جمال الشكل والزّوج.

ب- السلطان:

يمثّل السلطان في الحكاية الشعبيّة الجزائرية رمز السّلطة والقوّة، فجميع الشخصيات تهابه وتخشاه، وهو في العادة رجل طيب، يجب نشر الخير والسلام، فهو حاكم عادل في معظم الحكايات، إلا أنّ دوره قد يُحصر في اكتشافه للفتاة الفقيرة الحسنة، فيعمل جاهداً للظفر بها، والزّواج منها.

يُعتبر السلطان البطل الثاني للحكاية، إذ تتوقف مهمته على حماية البطة، وتخليصها من الأشرار، وهذا ما حدث في حكاية "الولجة بنت الغولة" حيث تقول: "بعد عناء ومشقة وصل الأمير رفقة الطائر الصغير إلى مكان مظلم، فالأشجار فيه متشابكة الأغصان، والحبال ذات الأشواك الحادة تلقّ منزل الغولة من كلّ جهة، استلّ سيفه الحاد وراح يقطع تلك الحبال، الواحد تلو الآخر حتّى تمكّن من فتح الباب والدخول."²⁸ وفي حكاية "اللونجا والسلطان": "لتى السلطان نداء الغزال على الفور، وأنجها سوية نحو البئر لتخليص اللونجة، فما إن رأتهما حتّى ابتهجت وعاد إليها لونها"²⁹

أما ما ورد عن مظهره، فهو رجل أو شاب أنيق، بهي الطّلع، تتمناه كل فتيات القرية أو المملكة، ومع ذلك فتركيزه دائماً يكون على الحسنة اليتيمة، والتي من أجلها يخوض مغامرات كثيرة، ممتطيًا حصانه أو فرسه، ليكون بذلك فارس الأحلام في صورته المعهودة والمتخيّلة في حكايات ألف ليلة وليلة؛ فارس وسيم يمتطي

حصانًا أبيضًا، ينتشل الفتاة الجميلة من حياة البؤس ويطير بها إلى عالم الأحلام السعيدة، ومما ورد عن الحصان الأبيض: "لا مناص من العودة إلى المملكة، فاعتلى حصانه الأبيض وشدّ اللجام متأهبًا للترحيل".³⁰ في الغالب، لا يظهر السلطان في بادئ الأمر بمظهره الحقيقي، بل متنكرًا في زي شاب عادي أو فقير، ولعلّ هذا راجع لكونه يرغب في اكتشاف طبائع رعيتيه، أو للبحث عن الزوجة المناسبة، فيتعرّف عليها دون تصنّع أو زيف، ومن أمثلة تنكر السلطان ما ورد في حكاية "الولجة بنت الغولة"، فبينما "كانت الولجة على ضفة النهر تغسل ثيابها وثياب أمها الغولة، سمعت صوتًا فوق الشجرة، فارتعبت وتراجعت إلى الخلف، فنزل شابّ وسيم، لكن لا تبدو على ثيابه هيئة الأمراء أو الأعيان، بل بثياب بسيطة بساطة الغابة الخضراء".³¹ من خلال ما سبق، نستخلص أنّ شخصية السلطان هي شخصية مرجعية في الحكاية الشعبية الجزائرية، وهي تمثل السلطة العادلة، والتي يقتصر دورها على انتشال البطل من بيئته القاسية، وحمائه، فالسلطان هو المنقذ والمخلص.

جزء زوجة الأب:

وردت شخصية زوجة الأب بكثرة في الحكايات الشعبية الجزائرية، وهي تمثل دور المرأة الشريرة، الحاقدة والغيرة، فهي رمز الغيرة والحسد، وعادة ما تسكب جلّ كراهيتها على رباها الضعفاء الأرياء، لا لسبب إلاّ لأنهم فاقوا ابنتها حسنًا ومحبة من طرف الآخرين، فتعمل جاهدة للقضاء عليهم بشتى الطرق والوسائل، ضاربة بعرض الحائط مدى قربهم لزوجها، وكونهم أطفالًا أيتامًا لا حول لهم ولا قوة.

هي في الموروث الشعبي امرأة جاقّة المشاعر، ذات قلب قاسٍ، لا يعرف الرحمة أو الشفقة، تتحين الفرص للخلاص من أبناء زوجها، أو قهرهم، ففي حكاية "لونجا والسلطان" "كان لهذه الزوجة ابنة صغيرة تعاملها بكل عطف وحنان، على خلاف ما تعامل به ابنا زوجها اليتيمين، فكانت تقدّم لها اللذّة ما طاب، وتبقي الفضلات للونجا وشقيقها، بل وكانت تنقل عليها بأشغال البيت، كالتنظيف والاحتطاب وإعداد الطعام... إلخ".³²

وفي حكاية "بقرة اليتامي" عملت زوجة الأب جاهدة لذبح البقرة لأنّها مصدر حبّ وحنان لربيّتها الصغيرين، ولم يغمض لها جفن حتّى تمكّنت منها وحرمتها من ذكرى والدتها، تقول الحكاية: "كان اليتيمان يأخذان البقرة كل يوم لتسرح في المرح الأخضر، وقد وجدا فيها دفيء وحنان الأم، ولاسيما أنّ هذه البقرة شهدت وفاة والدتها وأحسّت بعاطفة الأمومة أنّها الصغيرين من يومها ذاك"، وفي مقطع آخر: "كانت زوجة الأب الحاقدة تختمن في حيلة للقضاء على هذا المصدر المغذي، وهي تعلم بمكانة البقرة عند العائلة، فكيف السبيل إذن؟"³³

وجدير بالإشارة إلى أنّ هذه الصورة التمثيلية لزوجة الأب في موروثنا الشعبي الجزائري لا تختلف عن الحكايات الغربية العالمية؛ فزوجة الأب في حكاية بيضاء الثلج، وفي حكاية ساندريللا... لا تختلف في طباعها ورمزيّتها عن زوجة أب اللونجا مثلاً، ودافعهم واحد، ألا وهو الحسد والغيرة، فهما كانت الزبينة ابنة مطيعة

ومهدّبة فستظل مكرهة وغير مرغوب فيها، تقول الحكاية: "تزوج الأب بامرأة أخرى لا يعرف قلبها الرحمة اتجاه الابنين اليتيمين، فالغيرة كانت تعتمر قلبها، ولاسيما أنّها بصحة جيدة وبشرة بيضاء ناعمة، على عكس ابنتها الذميمة والتحيفة، ذات البشرة السمراء."³⁴

عادة ما تنقلب الموازين في الحكاية الشعبية الجزائرية، فتصبح زوجة الأب في مرحلة ضعف وهوان، وتنقلب حال ابنة الزوج إلى قوة، كأن تزوج بالسلطان أو ابنه وتحظى بحياة رعدة، ومع ذلك تضلّ هذه الأخيرة طيبة وعطوفة، فتستغل زوجة الأب ذلك في خداع الفتاة باستعطافها، لتضمّر بداخلها الحقد الّذين، فتتظاهر بندمها الشديد على قسوتها وسوء معاملتها لتحظى بثقة ربيبها، ومن ثم تسعى للخلاص منها بحيلة أدهى وأمر، ففي حكاية "لونجا والسلطان" زاد حقد زوجة الأب لما رأت لونجا قد تزوجت السلطان وأصبحت ثرية، فراحت تتودّد إليها وأرسلت زوجها ليعزمها على العشاء، فما كان من لونجا إلا أن لبّت "دعوة والدها ورافقته إلى المنزل، حيث رخت بها زوجة أبيها وابنتها، أو بالأصح تظاهرتا بالموّدة والترحيب، وتم تكريمها بإعداد عشاء لذيذ."³⁵

د-الستوت:

الستوت شخصيّة حاضرة في معظم الحكايات الشعبية الجزائرية، وهي عجوز شمطاء، لها صفات مذمومة؛ كالخسد، والغيرة، والتعجبة، وإثارة الفتن والتسائس، لذا عادة ما يلجأ إليها الأشرار لتمنحهم تعويذة سحرية، أو خطة جهتية ليقضوا بها على البطل، هذا الأخير الذي يمثل الخير ويقف حجرة عثرة أمام مخططاتهم ورجباتهم الذنيئة. فالستوت إذن ليست هي الشخصية المعادية للبطل، وإنّما يُستعان بها في نسج الحيل، وهذا يدلّ على دهائها ومكرها.

وقيل في وصفها، أيضًا، أنّها امرأة خبيثة، وصاحبة أفكار شيطانية، هتها الوحيد إثارة المشاكل، وزرع الفتن، ولاسيما بين الأقارب، فتمتعتها تكمن في رؤيتهم مشتتين، وحياتهم انقلبت إلى حميم، وقد ضرب لها مثل شعبي، يقول: "العجوز الستوت خرابة البيوت".

ونظرًا لأهمية الدور الذي تقوم به الستوت، فقد ورد ذكرها في نص الاستهلال، أو ما يُسمّى أيضًا بالمقدمة الافتتاحية في الحكاية الشعبية الجزائرية، والتي تقول: "يا سادة يا بادة يدلنا ويدلكم الشهادة، قالك على الستوت مالبهوت تسيح وتنج تطير ضروس الكلب وهو ينبح"، ويقصد بالبهوت البهتان الذي تأتي به الستوت، ومن قوة تأثيرها، وقدرتها على قلب الموازين، وبفعل تعويداتها السحرية يمكنها أنّها تفلح ضرس الكلب وهو في حالة يقظة، وهو مثال مضروب من باب المبالغة.

وإن جئنا إلى نص الحكاية الشعبية الجزائرية فسنجدّه يزخر بذكر هذه الشخصية المقوتة، ففي حكاية "ودعة وإخوتها التسبعة" لجأت زوجات إخوة ودعة إلى الستوت لتحريك لهم حيلة للقضاء على ودعة، تلك الفتاة الجميلة الطيبة، والتي كانت محلّ حسدهن وغيرتهن، قالت إحداهن بمكر: "لابدّ من الذهاب إلى

الستوت، فبإمكانها تقديم المساعدة بما تمتلكه من قدرة على التفكير والتدبير.. وافقت بقية الزوجات على هذا الرأي، وفي اليوم الموالي أجهت إحداهن إلى منزل الستوت لتبلغها حيلة قوية. قالت الستوت للزوجة: -خذي هذه البيضة واعطها لودعة حتى تأكلها، شريطة أن تبتلعها بلا مضغ، وأوهوها أن هذا هو الحل لنجاة إختها من خطر محقق بهم.³⁶

وفي حكاية "قرن فضة وقرن ذهب" لجأت الزوجتان الشريرتان إلى الستوت، لعلها تفضل عليها بحيلة تقضيان بها على الزوجة الثالثة، تقول الحكاية: "شهدت الزوجتان وضع الثالثة، وكنتا نتظاهران بمساعدتها في غياب السلطان، فلما شهدتا قرن ذهب وقرن فضة اعترتها غيرة قاتلة، فطلبنا من الستوت أن تقدم لها خطة للخلاص من الزوجة الثالثة وابنها قرن ذهب وقرن فضة. وضعت الستوت جروا كلب مكان الطفلين اللذين أخفتها عن الأنظار، وأخذتها بعيداً عن المملكة."³⁷

نلاحظ من خلال هذين المقطعين أن الستوت لا تمنع في تقديم الحيلة لمن لجأ إليها من الأشرار، بل تقدمها على طبق من ذهب، ودون أية شروط، إذ يكفيها ما ستستسبب فيه من أذية للآخرين، كما نلاحظ سرعة بديتها في نصب الحيل، وهذا يدل على تمرسها.

في كثير من الحكايات الشعبية يكون مصير الستوت الفشل الذريع، فمخططاتها تفشل في نهاية المطاف، لينتصر الخير على الشر، وتعود المياه إلى مجاريها، وقد ينتهي أمر الستوت أيضاً بالتيل منها، تقول الحكاية: "حاولت الستوت التلصص من قبضة قرن فضة لكنها فشلت فأخبرته عن سبب مجيئها، وعن الأشخاص الذين أرسلوها للقضاء على الشقيقتين."³⁸

هـ-المدبر:

سُمي بالمدبر لحسن تدبيره للأمور، ومصدرها في اللهجة الجزائرية "الدبارة"، فيقال: اعطيني دبارة أي قدم لي نصيحة.

هو شيخ كبير، في العادة، يلجأ إليه البطل وغيره لأخذ النصيحة والتوجيه السديد، فهو يمثل رمز الحكمة في الحكاية الشعبية الجزائرية، وله من التجارب ما يكفي ليقدم الإرشادات اللازمة، والتي هي بمثابة الحل للمعضلة أو فك الشيفرة، كما يمكن اعتبارها الوسيلة التي سيستخدمها البطل لينجو من كيد الأشرار، ففي حكاية "الكلب الأسود" تلجأ الأم إلى المدبر ليحل المعضلة التي أثارته فلقها، فعند "الصباح الباكر غادرت الأم منزلها، واتجهت إلى منزل المدبر الذي يقع عند طرف القرية.

رحب المدبر بالأم الحائرة، وسألها عن حاجتها، فحكّت له قصتها، وطرحت عليه سؤالها، فأجابها قائلاً: -عند عودة إنثيك في المساء، وهما على أحصنتها، تظاهري بالإغواء، فمن نزل من حصانه أولاً وهرع إليك مسرعاً فهو ابنك الحقيقي."³⁹

وقد ورد ذكر المدبر في حكاية "بشكركر والغول"، تقول الحكاية: أما الغول فخرج مسرعاً باتجاه كوخ المدبر، والمدبر هذا رجل حكيم يلجأ إليه سكان الغابة لِيَسْتَنْصِحُوهُ ويأخذون بآرائه الحكيمية، كما أنه الوحيد الذي يحسن القراءة والكتابة.⁴⁰

وبما أن المدبر يُسدي التصيحة للأخيار، فهو يناقض الستوت، التي تنسج الحيل للأشرار، فكلاهما يُعتبر المنفذ الذي يلجأ إليه الشخص، بحسب ما ينوي فعله، وطبيعة العمل الذي يرغب في إنجازه، سواء أخيراً كان أم شراً، ومع هذا فقد وُظفت شخصية المدبر في بعض الحكايات بدور شرير، وكذلك وُظفت الستوت بدور خيرٍ إذ قدمت نصيحة لشخص خيرٍ، لكن هذا قل ما يكون في الحكاية الشعبية الجزائرية.

2- الشخصيات الخرافية:

وتشتمل هذه الشخصيات على الكائنات الخرافية الغريبة، كالغيلان، وكذلك الحيوانات الناطقة، أو ذات الطباع البشرية.

أ- الغيلان:

كثيراً ما يرد ذكر الغيلان في الحكايات الشعبية الجزائرية، وهي تتصف، عموماً، بالشراسة وإرباك البطل، "غير أن هذه الكائنات الصارية قد يكفها الخيال المبدع لتغدو في بعض القصص وديعة، طيبة، تخدم الناس وتُحسن إليهم، وهي بِمَلَمَحِهَا الخير والشر- تحافظ على ذات السبات التي أثرت عنها في المصادر القديمة"⁴¹

وتعمد الحكايات الشعبية إلى توظيف الغيلان مركزة على "جدلية القوة والحيلة، فالكائنات الضعيفة تجد مخرجها- مما يحبطها من مخاطر وشور تسببها كائنات ترمز إلى الظلم والتسلط- بالاعتماد على الذكاء، وبذل الجهد الصادق"⁴²

- الغول:

تعتبر شخصية الغول من أبرز الشخصيات، وأكثرها حضوراً في الحكايات الشعبية الجزائرية، وقد تم توظيفها خصيصاً لتمثل دلالة رمزية، وهذا ما أقر به الرواة حين قالوا:

"يجوز لنا الاعتقاد بأن تصور الأوساط الشعبية لسهولة حركة الغول، وتنقله السريع، هو بمثابة طموح الإنسان لتحقيق وسائل اتصال سريعة، بعد أن ملّ من الانتقال بالوسائل العادية"⁴³

فهذا القول يعبر عن جعل الغول مجرد رمز لا أكثر، قائلين: "إن الغول بساطته البسيطة الموجودة في الحكاية الشعبية أمر لا وجود له، بل هو مجرد رمز للاضطهاد والاستغلال البشع، ومصدقا لذلك ما جاء في المثل الشعبي (ما غول إلا بني آدم)"⁴⁴

وبعيداً عن اختلاف الآراء حول وجود الغول حقيقة أم لا، فإن ما يهتمنا في هذه الورقة البحثية ما التسمت به شخصية الغول في الحكاية الشعبية الجزائرية، وما مدى مرجعيتها.

يمثل الغول عنصر الشر، لذا فهو يتميز بطباع حادة، وهو أشبه بالحيوان في غريزته، إذ يبدو، في الغالب، متعطشا لالتهام البشر، وسفك دماهم، ومع هذا قد يبدو في بعض الحكايات ودودا، وصديقا للإنسان، كما هو الحال في حكاية "بشكركر والغول"، تقول الحكاية: "كان هناك صديقان؛ أحدهما اسمه بشكركر، والثاني الغول..⁴⁵ إلا أنّ هذا الود سرعان ما يزول، فيعود الغول إلى طبيعته وتحتكمه الغريزة لأي سبب.

يمثل الغول في هذه الحكاية الشعبية عنصر تهديد لأمن البطل وباقي الشخصيات، فهم دائم الترتيب بهم، وغايته التامة قتلهم والتهاجم، لذا فهو يشكل مصدر فزع وهلع، ومن الصور المربعة لبطش الغيلان ما تم ذكره في حكاية "سكراية" حيث "التلهم الغيلان أحشاء نعمان وتركوا جسمه فارغا كما يفعلون بكل شخص سوّلت له نفسه الاقتراب من ممتلكاتهم، ثم رموا جسّته إلى جانب بقية الجثث ليكون عبرة لمن يعتبر."⁴⁶

ومن الشائع في الحكايات الشعبية الجزائرية أنّ الغول على شراسته وضراوته، لا يبدو أن يكون كائنا غيبيا، سطحي التفكير، ويسهل خداعه، ففي حكاية "بشكركر والغول"؛ "كان بشكركر قصير القامة، ضعيف البنية، يتميز بالحيلة والدكاء الخارق، في حين كان الغول عكسه تماما، طويل القامة، قوي البنية، يفتقر إلى الحيلة والدكاء"⁴⁷، لذا فبطل الحكاية بشكركر تمكّن من خداع الغول في أكثر من مرّة، واستطاع أن يزرع الرعب فيه، رغم صغر حجمه، تقول الحكاية: "غضب بشكركر من سخريّة الغول وفي لحظة اهتدى إلى إجابة ذكية فقال بكل ثقة: ويحك أيها الأبله، بينما كنا نمشي شاهدت نحلة تطير في الهواء فطرت لألحق بها وأحصل على هذا العسل الذي تراه أمامك."⁴⁸ فالرياح عند هبوبها حملت بشكركر فطار عاليًا، الأمر الذي استدعى سخريّة الغول منه، ولكن سرعان ما اهتدى بشكركر إلى حيلة؛ وهي الادّعاء بأنّه طار متممدا لينتزع النحل ويحصل على العسل، فتعجّب الغول وصدّق على الفور، دون أن يُعول عقله.

فالحكاية الشعبية تنقل إلينا صورة الشخص الضعيف، الذي يلجأ إلى استعمال الحيلة إذ "ليس له إلا أن ينصف لنفسه بنفسه، وقد يتم التعبير عن الإحساس بالضعف بالرمز إليه بالصغر في الجسم والمسكن والأدوات"⁴⁹

نستنتج من خلال هذا، أنّ الغول كائن ضخم متوحش، إلا أنّه بليد، ولا يحسن الخلاص من المواقف الصعبة التي يوضع فيها، لتكون العبرة المستفادة من الحكاية الشعبية الجزائرية أنّ القوّة تكمن في العقل الراجح.

- الغولة (السعلوة):

السعلوة أو السعلارة، هي أنثى الغول، ومعروفة في الحكاية الشعبية الجزائرية باسم "الغولة"، وطباعها لا تختلف عن طباع الغول، من حيث الشراسة والفتك ببني البشر، ففي حكاية "الولجة بنت الغولة"، و"عند شروق الشمس أصاب الأهل ذعرا وفزعاً كبيرين، فقد وجدوا آثاراً للدماء وبعض الأعضاء لشيخ عجوز، وقد وُجّهت كل الاتهامات إلى الغولة"⁵⁰.

وفي حكاية "حجا ووحا" كان مصير مخنان القتل على يد الغولة التي قام بمساعدتها، وخلصها من الشّرك الذي وقعت فيه، تقول الحكاية: "صدّق مخنان الغولة خاصّة وأنه تذكّر تدمر مدروجة التأم من خالته، فراح ينتزع الجذع عن أنياب الغولة، وعند انتهائه هاجمته بسرعة، وسألته قائلة: من أيّ عضو أبدأ النهش؟"⁵¹ وغالبًا ما تحبّ الغولة الرجل من بني آدم، وترغب في الزواج به، فتعشقه وتملّكه، وتسلب الأذى على كل من يرغب في الاقتراب منه، وتما ورد في كتاب "أخبار الزمان وعجائب البلدان": "وحكى أنّ صنفاً من السّعالى يتصوّرون في صور السّساء الحسان ويتزوجن برجال الإنس، كما حكى عن رجل يقال سعد بن جبير، أنّه تزوّج امرأة منهنّ وهو لا يعلم ماهي: فأقامت عنده وولدت عنده أولادًا، وكانت معه ليلة على سطح يشرف على الجبّانة، إذا بصوت في أقصى الجبّانة نساء يتألّمن فطربت وقالت لبعلهما: أما ترى نيران السّعالى شأنك وبنيك استوص بهم خيرا، فطارت فلم تعد إليه."⁵²

ويعتقد بعض الباحثين "أن جذور هذه الشخصية تعود إلى "ليليث" في ملحمة جلجامش والتي تكاد تتطابق حرفيا في صفاتها مع السّعلوة. و"ليليث" كلمة بابلية آشورية معناها أنثى العفريت، هي جنبة أنثى تسكن الأماكن المهجورة وكانت تغوي الرجال النائمين وتضاجعهم وبعد ذلك تقتلهم بمص دمائهم ونهش أجسادهم. لكنها إذا أعجبت بشخص تتزوجه وتنجب منه اطفالا وترجعه بعد زمن وتعطيه سرا من أسرار العلاج الطبيعي يستطيع من خلاله ان يعالج أي مرض عضال، ويقال انها تأكل البشر. وقد ظلت هذه الشخصية الى يومنا هذا بطلاة من بطلات الحكايات القديمة."⁵³

ينبع عن هذا النوع من الزواج علاقات قرابة، كالأومومة في حكاية "الولجة بنت الغولة"، تقول الحكاية: "إلا أنّ الولجة لم تحظ بإقبال العرسان، ولا زيارة الخلائن، ذلك أنّها ابنة لغولة شرسة، تمنع كل قريب أو بعيد من الاقتراب من ابنتها"⁵⁴، أو علاقة مساهرة، حيث "يقوم السّطان بدعوة الغولة إلى عرس ابنتها، ويستضيفها، لتمكث بين الأهالي معززة مكّومة"⁵⁵، وقد تكون العلاقة بين الغولة والإنسان علاقة تنبّي، كما جاء في حكاية "مقيدش بوالهموم" حيث تبنت الغولة مقيدش وعملت على رعايته، تقول الحكاية: "كان مقيدش قصير القامة، إذ لا تتعدّى قامته حجم الإصبع، ورغم حجمه الصغير إلا أنّه ذكي فطن، وكان من طبعه إثارة الشّغب والمشاكل لمربيته الغولة"⁵⁶

والملاحظ عدم الاستقرار في هذه العلاقات وانقلاب عاطفة الود إلى سخط أو عداوة؛ فالولجة مثلا في حكاية "الولجة بنت الغولة" هي التي طلبت من زوجها السّطان قتل أمها الغولة، لأنّها جلبت لها العار بسبب فتكها بأحد أفراد الرعيّة، ذلك أنّ غريزتها في التهام البشر كانت أقوى من كلّ شيء، تقول الحكاية: "أصرتّ الولجة على طلبها، وهددت بأن تفعل هي ذلك إن لم يلبّ رغبتها. قتل عليّ بن السّطان الغولة فذرفت الولجة دمعتين لؤلؤيتين."⁵⁷

كذلك انقلبت الغولة على ابنها بالتنبّي مقيدش لمجرد أنه عاث في حديقتهما فسادًا، ولم يُعر تهديداتها أهمية، تقول الحكاية: "رفعت الغولة مقيدش إلى فمها الكبير، فصاح: مهلك.. مهلك... عار عليك أن تلتهميني لوحك؟"⁵⁸

وجدير بالذكر أن العنصر المشترك بين الغول والغولة هو الشراسة وغريزة القتل وسفك الدماء، إلا أن الغولة تختص بحب الممارسة الحميمة مع الرجل الآدمي، وترغب في الزواج منه، في الغالب، فإن رفض أو خذل رغبتها انتقمت منه أشد الانتقام، لتعدو بذلك رمزًا للأنتى الشريفة أو لنقل العاهرة مادامت تضاجع الرجال ثم تقتلهم، وتبلغ خطورتها بشكل أكبر على الزوجات، من باب الغيرة والحسد.

ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن الغولة شخصية مختيلة عمدت الأمهات إلى تأليفها بدافع تربيوي أخلاقي، من خلال نقل الصورة الموحشة عن المرأة الزانية لتخويف الأبناء من أن يقرّبوا الفواحش (الزنا).

ب- الحيوان:

كثيراً ما توظف الحكاية الشعبية الجزائرية الحيوانات، وتمنحها شخصيات رمزية مختيلة لتؤدّي دلالات معيّنة، "حيث نجد في حكايات البطولة أو الأبطال عناصر أخرى لا تقلّ عنها أهمية كالحَيوان، والتي تلعب نفس الدور الذي يلعبه البطل في نفس الفضاء النصّي الواحد..."⁵⁹

و"هناك من يرى أنّ حكايات الحيوان هي بداية الأساطير، وأنها أكثر قِدماً وبدائية منها؛ إذ أنها كانت وعاءاً لشرح وتقديم الأفكار والمعتقدات؛ أي إنّ أكثر هذه المعتقدات كان يتجسد في شكل حيوانات وطيور"⁶⁰

- الثعبان:

وتعتبر شخصيّة الثعبان أو الحية أكثر وروداً في الحكايات الشعبية الجزائرية، وهو يرمز إلى قوى الشر؛ الغدر والخداع، لذا كثيراً ما يوصف الشخص المخادع بالثعبان.

وقد استعمل الثعبان وسيلة للقتل في حكاية "لونجا والسلطان" عندما قامت زوجة أيها برميها في البئر، وقذف الثعبان عليها ليفتك بها، تقول الحكاية: "كانت لونجا حاملاً، فما إن وقعت في البئر حتى وضعت حملها من شدة الخوف والدعر، فوضعت رضيعها على إحدى ركبتيها، أما الثعبان فصعد على ركبتيها الثانية"⁶¹

كما تم الاعتماد عليه في الخلاص من ودعة في حكاية "ودعها وإخوتها السبعة"، حين منحها زوجات إخوتها بيضة لتأكلها، وقد "كانت تلك البيضة لثعبان، ففقتصت في بطن ودعة ثعباناً صغيراً، وراح يكبر يوماً بعد يوم... أحسّت ودعة بألم يعتصر بطنها"⁶²

وقد يوظف الثعبان بصفة قريبة من البشر، فيتكلم ويتزوج، كما حدث في حكاية "جحا ووحا"، حيث تزوّجت مدروجة من الثعبان الذي أنقذها من الغولة، وأنجبت منه طفلاً اسمه "وحا"، فكانت وظيفة شخصيّة الثعبان هنا هو السعي للقضاء على ابن مدروجة الثاني "جحا" ليمثل بذلك رمز الشر والخطر المحدق بالصّحية، قال الثعبان لزوجته: "عندما يحلّ الصّباح قومي بوضعي داخل اللّحاف وقومي بلفّه حولي، ثم اطلبي من الطّفلان جحا ووحا أخذه لي الوادي لغسله، فما إن يفتحا اللّحاف حتى أخرج منه وأدعُ جحا فيسقط صريعاً"⁶³

الخاتمة:

من خلال الدراسة والبحث توصلنا إلى جملة من النتائج، وهي كالآتي:

- الشخصية الرمزية في الحكاية الشعبية الجزائرية تتفاعل مع الأحداث سلبيًا وإيجابيًا، وتتصرف وفقًا لطبيعتها في النص الحكائي.
- تعد الشخصية المختلطة عنصرًا مهمًا في الحكاية الشعبية، وقد تم توظيفها لصنع التخيل والعجائبية في البنية العامة للنص الحكائي.
- لا وجود للشخصية المختلطة على أرض الواقع، ومع ذلك فإن دورها مهم في الدلالة على الشخصية الواقعية.
- ساهمت كل من الواقعية والتخيلية في رسم ملامح الشخصية الرمزية، وفي تكوينها.
- للشخصيات الرمزية في الحكاية الشعبية الجزائرية دور كبير في بعث القيم الروحية، الدينية والاجتماعية لما تحمله من جانب أخلاقي.
- قد يمتزج الواقع بالتخيل في معظم شخصيات الحكاية الشعبية؛ ذلك أنها نابعة من مخيلة الشعب، ولها من الغرائبية ما يجعلها في مصف الكائنات العجيبة، ومع ذلك فقد يلبسها الحكائي صفات البشر، في طباعهم وسلوكياتهم، وممارساتهم الحياتية، كالزواج، والصداقة، والمعاملات التجارية.

هوامش:

- ¹ - أحمد نجيب: فن الكتابة للأطفال، (1968)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (مصر)، ص 54
- ² - ثريا التيجاني: دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري- وادي سوف نموذجًا، دار هومة، الجزائر، ص 108-109
- ³ - مجدي وهبه، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (1984)، مكتبة لبنان (بيروت)، ط 2، ص 208
- ⁴ - ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف (كورنيش النيل، القاهرة)، ط 1، ص 954
- ⁵ - المنجد الأبجدي، (1988)، دار المشرق (بيروت- لبنان)، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، ط 6، ص 377
- ⁶ - محمد فهد عبد اللطيف: الحدوث والحكاية في التراث الشعبي، دار المعارف (كورنيش النيل- القاهرة)، ص 20
- ⁷ - المرجع نفسه، ص 21
- ⁸ - عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة: دراسة ميدانية، (1986)، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، ص 118
- ⁹ - محمد سعدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، (1998)، ديوان المطبوعات الجامعية (ن عكنون- الجزائر)، ص 55
- ¹⁰ - المنجد الأبجدي، المرجع السابق، ص 598
- ¹¹ - جروان سابق: معجم اللغات، (1985)، دار السابق للنشر (بيروت- لبنان)، ط 1، ص 107
- ¹² - مرشد الطلاب، دار الأونيس، مجموعة رشيد وهشام (وهران- الجزائر)، ص 161
- ¹³ - محمد سعدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص 09

- ¹⁴ - عمر قبائلي، "مدخل للثقافة الشعبية العربية"، ماي 2008، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة
_الجزائر، العدد7، ص174
- ¹⁵ - عاطف عطية: في الثقافة الشعبية العربية: بنى السرد الحكائي في الأدب الشعبي (2016)، جروس برس ناشرون
(طرابلس-لبنان)، ط1، ص218
- ¹⁶ - أحمد زياد محبك: من التراث الشعبي: دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، (2005)، دار المعرفة (بيروت-لبنان)، ط1،
ص19
- ¹⁷ - المرجع نفسه، ص19-20
- ¹⁸ - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مطبعة دار العالم العربي (القاهرة)، ص91
- ¹⁹ - المرجع نفسه، ص91-92
- ²⁰ - التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، (1990)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص107
- ²¹ - عبد الحميد بورايو: منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية (بن عكنون-الجزائر)،
ص18
- ²² - عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات
الشفوية، الأداء، الشكل، الدلالة، (1998)، ديوان المطبوعات الجامعية (بن عكنون-الجزائر)، ص143
- ²³ - عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة: دراسة ميدانية، ص91
- ²⁴ - فاتح عتياد: حكمت لي أمي: حكايات من التراث الشعبي الجزائري، (2023)، جودة للنشر والتوزيع (الجزائر)، ط1،
ص45
- ²⁵ - المصدر نفسه، ص45
- ²⁶ - المصدر نفسه، ص47
- ²⁷ - المصدر نفسه، ص51-52
- ²⁸ - المصدر نفسه، ص32
- ²⁹ - المصدر نفسه، ص56
- ³⁰ - المصدر نفسه، ص32
- ³¹ - المصدر نفسه، ص29
- ³² - المصدر نفسه، ص45
- ³³ - المصدر نفسه، ص40
- ³⁴ - المصدر نفسه، ص39
- ³⁵ - المصدر نفسه، ص53
- ³⁶ - المصدر نفسه، ص69
- ³⁷ - المصدر نفسه، ص73
- ³⁸ - المصدر نفسه، ص81
- ³⁹ - المصدر نفسه، ص50-51

- 40 - المصدر نفسه، ص 6-7
- 41 - هاني الكايد: ميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، دار الزاوية للنشر، ط1، 2010، ص 76
- 42 - المرجع نفسه، ص 77
- 43 - مشهور حسن محمود سلمان، الغول بين الحديث النبوي والموروث الشعبي، (1989)، دار ابن القيم (المملكة العربية السعودية)، ط1، ص 76
- 44 - المرجع نفسه، ص 76
- 45 - فاتح عتياد، حكمت لي أمي: حكايات من التراث الشعبي الجزائري، ص 9
- 46 - المصدر نفسه، ص 116
- 47 - المصدر نفسه، ص 9
- 48 - المصدر نفسه، ص 10
- 49 - التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص 15
- 50 - فاتح عتياد، حكمت لي أمي: حكايات من التراث الشعبي الجزائري، ص 37
- 51 - المصدر نفسه، ص 69
- 52 - أبو الحسن المسعودي، أخبار الزمان ومعجائب البلدان، (2013)، تحقيق: خالد علي نيهان، مكتبة الناظفة (الجيزة)، ط1، ص 26
- 53 - عدي العبادي، "أبطال الأساطير في الحكايات الشعبية الغول و السلعة نموذجاً"، مجلة الشبكة العراقية، 2 ماي 2018، تاريخ الاطلاع: 2 أوت 2023، على الساعة: 14.30، الرابط: <https://magazine.imn.iq>
- 54 - فاتح عتياد، حكمت لي أمي: حكايات من التراث الشعبي الجزائري، ص 29
- 55 - المصدر نفسه، ص 37
- 56 - المصدر نفسه، ص 17
- 57 - المصدر نفسه، ص 38
- 58 - المصدر نفسه، ص 18
- 59 - محمد سعدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص 62-63
- 60 - عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة: دراسة ميدانية، ص 91
- 61 - فاتح عتياد، حكمت لي أمي: حكايات من التراث الشعبي الجزائري، ص 53
- 62 - المصدر نفسه، ص 84
- 63 - المصدر نفسه، ص 71-72

قائمة المراجع:

- 1- أبو الحسن المسعودي، أخبار الزمان ومعجائب البلدان، (2013)، تحقيق: خالد علي نيهان، مكتبة الناظفة (الجيزة)، ط1.
- 2- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف (كورنيش النيل، القاهرة)، ط1.
- 3- أحمد زياد محبك: من التراث الشعبي: دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، (2005)، دار المعرفة (بيروت- لبنان)، ط1.

- 4- أحمد نجيب: فن الكتابة للأطفال، (1968)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (مصر).
- 5- التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، (1990)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- 6- ثريا التيجاني: دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري- وادي سوف نموذجاً، دار هومة، الجزائر.
- 7- جروان سابق: معجم اللغات، (1985)، دار السابق للنشر (بيروت- لبنان)، ط1.
- 8- عاطف عطية: في الثقافة الشعبية العربية: بنى السرد الحكائي في الأدب الشعبي (2016)، جروس برس ناشرون (طرابلس- لبنان)، ط1.
- 9- عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات الشفوية، الأداء، الشكل، الدلالة، (1998)، ديوان المطبوعات الجامعية (بن عكنون-الجزائر).
- 10- عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة: دراسة ميدانية، (1986)، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر).
- 11- عبد الحميد بورايو: منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية (بن عكنون-الجزائر).
- 12- عدي العبادي، "أبطال الأساطير في الحكايات الشعبية الغول و السلوة نموذجاً"، مجلة الشبكة العراقية، 2 ماي 2018، تاريخ الاطلاع: 2 أوت 2023، على الساعة: 14.30، الرابط: <https://magazine.imn.iq>
- 13- عمر قبائلي، "مدخل للثقافة الشعبية العربية"، ماي 2008، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة _الجزائر، العدد7.
- 14- فاتح عتياد: حكمت لي أمي: حكايات من التراث الشعبي الجزائري، (2023)، جودة للنشر والتوزيع (الجزائر)، ط1.
- 15- مجدي وهبه، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (1984)، مكتبة لبنان (بيروت)، ط2.
- 16- محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، (1998)، ديوان المطبوعات الجامعية (بن عكنون-الجزائر).
- 17- محمد فهمي عبد اللطيف: الحدوث والحكاية في التراث الشعبي، دار المعارف (كورنيلس النيل _القاهرة).
- 18- مرشد الطلاب، دار الأئيس، مجموعة رشيد وهشام (وهران- الجزائر).
- 19- مشهور حسن محمود سلمان: الغول بين الحديث النبوي والموروث الشعبي، (1989)، دار ابن القيم (المملكة العربية السعودية)، ط1.
- 20- المنجد الأبيدي، (1988)، دار المشرق (بيروت _ لبنان)، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، ط6.
- 21- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مطبعة دار العالم العربي (القاهرة).
- 22- هاني الكايد: ميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، دار التزاية للنشر، ط1، 2010.